

في علم الاخلاق فان دارسه أقدر على تمحيص الاعمال
ونقدها وتقديرها حق قدرها دون أن يخضع في حكمه الى
إلف أو عادة أو يتأثر بمحكم البيئة والمكان

(٣) ليس المقصد من دراسة علم الاخلاق أن نستظهر نظرياته ونستذكر قواعده بل الغرض الاسمى منه أن نحمل أنفسنا على سلوك الطريق القويم ونحصل خيرا وكالنا فهو المشجع للارادة على عمل الخير وسلوك السنن القويم والشاد أزر العزيمة على المضي قدما في الولوع بالفضيلة واتخاذها نبراسا في كل الاعمال ولكنه ليس بدائم النجاح في كثير من الاحيان لانه انما ينبت غرسا حسنا اذا وجد أرضا خصبة مستعدة للانبات . فهو اذا لم يجد نفسا مستعدة بالفطرة لسلوك طريق الخير لن يثمر الثمرة المقصودة

(۲)

الخلق وامطاعه شهزيبه

الخلق هو تغلب ميل من الميول على الانسان باستمرار
فالكریم المسماح هو الذى يتغلب عليه الميل الى البذل

والاعطاء كلما وجد الداعى الى ذلك . والبخيل هو الذى يؤثر جمع المال وادخاره ويتغلب عليه الميل الى منع المال عن غيره جهد المستطاع

أما أولئك الذين لا ميول لهم تتجه في اتجاه واحد باستمرار فلا أخلاق لهم فالشخص الذى تميل نفسه الى العطاء والبذل حيناً وتميل الى المنع طوراً آخر مع تشابه الدواعى الحافزة فليس كريماً ولا بخيلاً وليس له خلق ثابت

والسواد الأعظم من الناس لا أخلاق لهم بهذا المعنى فتختلف أحوالهم وتتبدل أعمالهم من حين لآخر فاذا قابلهم كريم جواد وحبب اليهم البذل والعطاء وأبان لهم فوائده وآثاره في المجتمع والشعب . جادوا كالسيل المدرار ، وان قابلهم البخيل الشحيح ووسوس اليهم بغوايته وأراهم شبح الفقر الخفيف بخلوا وضمنوا بما يكتزون

وعلى هذا فالرجل ذو الاخلاق احسنة هو الذى تتغلب ميوله الطيبة على جهة الاستمرار والرجل الشرير الخيث بعكس هذا (وبضدّها تميز الاشياء)

مما تقدم نعلم أن الخلق صفة نفسية لا مظهر خارجي .
أما المظهر الخارجى للخلق فهو السلوك أو المعاملة فإذا رأينا
محسنا يدر الخير على العفاة والباثسين في أحوال متشابهة
حكمتنا بأنه كريم

كيف نربى الخلق

هناك عوامل فعالة تعين على تربية الخلق وترقيته ويكون
لها أكبر قسط في اصلاح السيرة وتقويم ما اعوج منها .

ومن أهم ذلك ما يلى

اتساع المدارك وترقية الفكر — ذاك أن الفكر الضيق
المملوء بالالوهام والخرافات مصدر كثير من الشرور والآثام
ألا تراك تجد عند بعض الصبيان كثيرا من الجبن والخوف
فإذا بحثت عن سببه وجدته ما لقنوه من الصغر من خزعبلات
العفاريت والغيلان والمردة ونحو من هذا

كما تجد لدى القبائل الهمجية التى لا تزال على الفطرة
الأولى عقائد أسها ضيق النظر فتراهم مثلا يعتقدون أن
العدل وحفظ الحقوق لا يجب عليهم الا نحو بنى جلدتهم

أما غيرهم فليس من الظلم أن تسلب أموالهم أو تهدر دماءهم
إلى نحو من هذا

واعتبر هذا بما تراه في نظر كل أمة إلى أعمال الأمم الأخرى
والى ما يحكم به أفرادها على عادات غيرهم تجد أنهم يحسنون
أعمالهم ويقبحون أعمال غيرهم حتى لقد يعدون الظلم عدلا
والعدل ظلما . كل ذلك لئلا تزعزع القومية . وسبيل الخلاص من
مثل هذا أن تحب الحقيقة أكثر مما تحب رأيك وأمتك
وتولع بالبحث عنها فيتسع نظرك ويصح حكمك

(٢) صفة الاخيار - ذاك أن الانسان مغرم بالتقليد

لما يرى فتراه كما يقلد غيره في أزيائه يقلد سواء في أخلاقه
وأعماله اذ نشاهد أن معاشر الاجواد الكرماء تربي الكرم
في نفوس البخلاء . كما أن عشرة الشجعان تورث الجبناء
الشجاعة . وكثير من الثبوغ والعبقريه ظهر أثره بصحة
النابيين الاخيار ولقد أكثر العرب من ذلك في اشعارهم

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدى

وأثر عن بعض الحكماء أنه قال (نبشني عنن تصاحب
أنبثك من أنت

(٣) قراءة سير الأبطال والنابعين — إن مطالعة سير
أولئك تتمثل للقارئ في مرآة كبيرة فيجعلهم القدوة الحسنة
ويسير على منهاجهم

ولا تخلو أمة من أبطال تورث قراءة سيرتهم وترجمة
حياتهم نشاطا إلى العمل ودأبا إلى الوصول إلى عظام الأعمال
وكم رأينا من حفزه إلى جليل الأعمال ما قرأه من حادثة
طريفة منسوبة إلى بطل من الأبطال العظام

ومما يتصل بهذا ما نسمعه من الأمثال والحكم والمواعظ
فإنها أفعل في النفس وأقرب حضورا إلى الذهن وبها توجز
المعاني المنبسطة التي تحتاج إلى شرح وكثير إيضاح

(٤) اقتصار الإنسان على نوع من الفضائل

من أجل ما يساعد على تربية الخلق أن تتفرغ قوى الإنسان
وجهوده لنوع من أنواع الفضيلة ويعمل لذلك جهد ما يستطيع
ويتخير منه ما يلائم ميوله واستعداده كان يسعى إلى ما يرقى

أمته اقتصاديا أو خلقيا أو دينيا ويهيم بهذا ويولع به فينمو حبه للناس وشغفه بهذا النوع من الفضائل ويجد لديه تربة صالحة للتغذية فينمو فيها ناضر الزهر وشهي الثمرات

(٥) تذليل النفس وطاعتها

من خير ما يهذب الخلق أن يحمل الانسان نفسه على الاتيان ببعض الاعمال ويمودها بالطاعة لداعي الخير وعصيان داعي الشر حتى يصير لها ذلك بالمران عادة فتلبى النداء لعمل الفضيلة وترعوى عن ارتكاب الرذيلة .

والنفس كالطفل ان تهمله شب على

حب الرضاع وان تقطعه ينفطم

عرج الخلق

أثر عن أرسطو أنه قال (اذا تعدى خلق امرئ حده فليقومه بضده) وعلى هذا فاذا أحس الانسان من نفسه إفراطا في الحصول على لذة من اللذات فليكسر حدة ذلك بالزهد فيها والتباعد عنها

وليس من الخير في شيء أن يديم الإنسان التأمل
ويطيل التفكير ويحاسب نفسه لاجل أن يترك خلقا سيئا
قد اعتاده . لأن ذلك قد يؤدي إلى الشعور بالضعف عن
المقاومة وفقدان الثقة بالنفس

بل عليه أن ينشئ خلقا كريما ويوجد فضيلة جديدة
لتنشط النفس ويتسع أمامها باب الأمل والرجاء فمن اعتاد
أن يضع أوقاته في أندية اللعب والملاهي فليختط خطة
جديدة يشغل بها وقته كرحلة إلى استكشاف مفيد أو
لارتياح مجهول أو استقصاء بحث علمي يحتاج إلى البحث
والتحصيل .

العادة

كل شيء يعمل به الإنسان ويتكرر منه حتى يسهل عليه
أن يعمل في كل وقت وأن يسمى عادة . وأكثر ما يعمل به
الإنسان في مختلف أطواره من هذا النوع كالجرى والمشي
واتباع طريق خاص في النوم واللباس والكلام إلى نحو من هذا .